

حيث الزكاة تعمّ زكاة الأرواح الأحوال إلى زكاة الأبدان والأموال «وهي زكاة المال والجاه وقوة البدن»<sup>(١)</sup>.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾:

﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن كلِّ هذه الثمان أم بعضها ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ إذ أقبلوا إليها ﴿وَأَنْتُمْ﴾ المتولون ﴿مُّعْرِضُونَ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ﴾<sup>(٨٤)</sup>:

٩ - ١٠ - هنا تكملة للعشرة ناموساً أحكامياً للشريعة، حرمة الدماء والأموال: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ لأن سفك دم أخيك هو سفك لدمك نفسك، فإن نفسه نفسك ونفسك نفسه، فكما يحرم عليك سفك دمك، كذلك نفس مُحرمة أخرى غير مهدورة الدم، لا يحل سفكه، وكذلك إخراج أنفسكم من دياركم بنفس النمط، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه.

ثم في واجهة أخرى إن قتل نفس الغير وإخراجها من ديارها يخلف نفس القتل والإخراج لأنفسكم قصاصاً وجزاءً، فـ «لا تقتلون ولا تخرجون» لها أبعاد ثلاثة كلها منهية مهما اختلفت.

تلك عشرة كاملة تولوا عنها وهم معرضون:

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّنْ دِيَارِهِمْ

(١) تفسير البرهان ١: ١٢٢ عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام قال: وآتوا الزكاة من المال والجاه وقوة البدن، فمن الحال مواساة إخوانك المؤمنين، ومن الجاه إيصالهم إلى ما يتقاعسون عنه لضعفهم عن حوائجهم المترددة في صدورهم، وبالقوة معونة أخ لك قد سقط حماره أو حمله في صحراء أو طريق وهو يستغيث ولا يُغاث من يعينه حتى يحمل عليه متاعه وتركبه وتنهضه حتى يلحق القافلة وأنت في ذلك كله معتقد لموالاته محمد وآله الطيبين وإن الله يزكي أعمالك ويضاعفها بموالاتك لهم وبراءتك من أعدائهم.

تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْآيَاتِ وَالْعُدُوانِ وَإِن يَأْتُوكُمُ اسْتَرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمُ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ :

﴿أَنْتُمْ﴾ لحاضر الخطاب و﴿هَؤُلَاءِ﴾ لغائبه، فكيف يجتمعان والحضور في الخطاب هنا هم الغيب؟

قد يعني ﴿أَنْتُمْ﴾ شعب إسرائيل المتمثل في الحاضرين زمن الخطاب، وهؤلاء هم السابقون منهم القاتلون أنفسهم والمخرجون، دمجاً للحضور في الغيب لأنهم نفس النمط، ولهم نفس الخلق مأخوذين بنفس المآخذ، لأنهم سلسلة موصولة فيما كانوا يفتعلون، ولا أقل أنهم كانوا بما فعلوا راضين، والراضي بفعل قوم كالدخل فيه معهم.

أم إن ﴿هَؤُلَاءِ﴾ هنا كمنادى تكرر منبهاً لهؤلاء الحماقي أم كإشارة إليهم تأكيداً لصدور الجريمة منهم.

والآية تتحدث عن واقع قريب العهد، قبيل غلبة الإسلام على قبيلي الأوس والخزرج، فقد كانوا كلهم مشركين، ويهود المدينة هم - وقتئذٍ - أحياء ثلاثة، مرتبطة بعهود، كلٌّ مع كلٍّ من حيي الشرك، فبنو قينقاع وبنو النضير هما حلفاء الخزرج، وبنو قريظة هم حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نشبت بينهم قاتل كلُّ فريق من اليهود مع حلفائه المشركين ضد الآخرين ومعهم يهود آخرون، فيقتل اليهودي مثله كما يقتل المشرك دونما تمييز تمسكاً بالأحلاف، وتناسياً لحلف الله وميثاقه الذي واثقهم به.

كما وكانوا يخرجون فريقاً منهم من ديارهم إذا غلب فريقهم، نهياً لأموالهم وسبياً لفريق منهم حلفاء مع عدوهم ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْآيَاتِ

وَالْعَدُولِينَ ﴿٨٣﴾ كما تتظاهرون على خلطائهم المشركين، وهذا خلاف نص الميثاق في ناموس التوراة.

ومن ثم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ﴾ دافعين الفدية عنهم حتى تستلموهم وتحرروهم، وفقاً لنص آخر من التوراة ﴿وَهُوَ مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ فكيف الجمع بين قتالهم وقتلهم وإخراجهم وأسرهم، وبين مفاداتهم ﴿أَفْتُومُونَ بَعْضَ الْكُتُبِ﴾ فتفادونهم ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فتقاتلونهم وتخرجونهم من ديارهم وتأسرونهم؟.

و«هو» هنا إما ضمير شأن، أو مبتدأ مبهم مفسَّر بـ ﴿مُحْرَّمٌ﴾ والجملة الخبرية خبرها.

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ﴾ النقص لشرعة الميثاق التوراتي ﴿مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أن تقاتلوهم إخوانكم لصالح أعدائكم المشركين ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ لأن ذلك من أشدِّ العصيان لشرعة الله ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ خلاف ما أنتم تزعمون.

ولكي يُلفت أنظار المسلمين إلى أهمية ذلك المحظور، دون اختصاص باليهود، يخاطبهم:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٤﴾﴾:

إعلان صارخ في هذه الإذاعة القرآنية يحذر المسلمين عن مثل ما افتعله اليهود، كيلا يحارب بعضهم بعضاً لصالح الكافرين.

خُطَّةٌ تقليدية لعينة إسرائيلية في إمساك عصيهم من أوساطها، انضماماً إلى المعسكرات المتطاحنة كلها حيطةً على مصالحهم المادية ومغانمهم على أية حال، نقضاً لميثاق الله الذي واثقهم به، وتحكيماً لميثاقهم مع أعداء

الله، مصلحة وقائية وقتية، تجعل شرعتهم على هامشها، أم رفضاً لها عَجالة حتى يربحوا المسرح، اشتراءً للحياة الدنيا بالآخرة!.

وترى الآخرة كانت مملوكة لهم حتى يشتروا بها الدنيا فهم مالكوها؟ وذلك بيع ما لا يُملك!.

لكل من المكلفين نصيب مقدر من نعيم الآخرة إن عمل لها، فالذي لا يعمل لها كأنه باعها حيث بطل على نفسه استبدالاً بها نعيم الدنيا، و﴿الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِحَدِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ في تجارتهم الخاسرة من خسارهم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ إذ لا ناصر يومئذ إلا الله وليس بمخفف العذاب.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾<sup>(٨٧)</sup> :

آية التقفية هذه نراها يُستدل بها عند المبشرين المسيحيين على أن المسيح خاتم النبيين، يقول قائل منهم: في القرآن كله، في النصوص كلها التي يرد فيها ذكر المسيح، ظاهرتان: الأولى: يقفّي القرآن على كل الرسل بالمسيح، ولا يقفي على المسيح بأحد (٨٧: ٢) يعني هذه، و(٥: ٤٦) (٥٧: ٢٧).

الثانية: المسيح نفسه في ما ذكر القرآن عنه لا يبشر بأحد من بعده على الإطلاق إلا في بعض تلك الآية اليتيمة: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ وهذا يجعل تعارضاً ما بين الموقف المتواتر والموقف الشاذ اليتيم فيه، والعقيدة في كتاب منزل تُؤخذ من المحكم فيه لا من المتشابه<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦.

(٢) ذكره الحداد البيروتي في كتابه مدخل إلى الحوار الإسلامي المسيحي ص ٣٦٤ ...

يُستدل بآيات التفقية - الثلاث - على أن المسيح هو خاتم النبيين،  
فالثانية ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَأَتَيْنَاهُ  
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً  
لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

والثالثة: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ  
الْإِنْجِيلَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولكن آية البقرة تؤتي موسى الكتاب ثم تقفي من بعده بالرسل، فلو كان  
المعني منهم كل الرسل لخرج المسيح ﷺ أيضاً عن جماعة الرسل، فهم  
- إذاً - معظم الرسل الإسرائيليين، وقد قفي من بعدهم بالمسيح وهو خاتم  
الرسل الإسرائيليين، وليست هذه التفقية الإسرائيلية إلا توطئة لبيان انتقال  
الرسالة إلى رسول غير إسرائيلي ﴿... وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ  
لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا  
بِهِ ۖ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>! فقد تلعن - بين الملعونين - القائلين أن  
المسيح هو خاتم المرسلين على الإطلاق، ناكرين رسالة القرآن العظيم!

كما وأن آية المائدة أيضاً لا تقفي بالمسيح إلا على الرسل  
الإسرائيليين: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ  
أَسْلَمُوا... وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾<sup>(٤)</sup> مما يبرهن أن المسيح ﷺ  
هو آخر الرسل الإسرائيليين التابعين لشرعة التوراة، ثم ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ  
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٦.

الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾!

وكذلك آية الحديد، فإنها لا تقفي بالمسيح إلا الرسل الذين ذكروا قبله، لا كلَّ الرسل، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ثُمَّ... فَقَيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ثم يقفي بهذا الرسول خاتماً لكلِّ الرسالات: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُولِهِ﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾.

فتراهم - هؤلاء البعيدين عن علم الكتاب - كيف يستندون بآيات الرسالة الختمية المحمدية على نكران رسالته عن بكرتها، ولا يفضحون إلا أنفسهم لو كانوا يشعرون!.

ثم التفقية بالرسل أم برسول تعني تأييد كلِّ لاحق من الرسل سابقه، وبيان ما حرّف بأيدي الدسّ والتحريف، فليست لتعني الختم في الرسالة على أية حال، فالرسالات الإلهية هي سلسلة موصولة طول التاريخ الرسالي، ف ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ ﴿٤﴾!

لقد آتاهم رسلهم تترى تلو بعضٍ ولصيق بعضٍ، كلُّهم رسل التوراة، داعين إليه، وآخرهم عيسى ابن مريم المزوّد بالبينات، المؤيد بروح القدس، ولكنهم كفروا وكذبوا: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على هؤلاء الرسل ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾.

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٣) راجع رسول الإسلام في الكتب السماوية ١٦٢ - ١٧٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

هذه صنيعتهم برسلمهم في ماضيهم النَّحْس النَّجْس، فماذا يرجى من حاضرهم أمام نبيِّ إسماعيلي؟! .

وإذا كانت رسالات إسرائيلية لا تمشي على أهوائهم فهم بها يكفرون رغم توافق العنصرية، فماذا يرجى منهم أمام رسالة غير إسرائيلية لا توافق هذه العنصرية .

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ عله روح القدس الرسالي ككلّ وهو مثلث الوحي والعصمة الرسالية وملك الوحي، وهذه الثلاث لا يصيبها ما يصيب سائر الأرواح الإنسانية<sup>(١)</sup> .

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ :

﴿غُلْفٌ﴾ هي جمع أغلف أو غلاف، وهو الذي في غلاف مبالغة، أو كالم تعود من غلاف السيف، فهل يعنون بغلف قلوبهم أنها ﴿فِي أَكْثَرِ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup> لا تنفذ إليها دعوة جديدة غير إسرائيلية: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) نور الثقلين ١ : ٩٨ في أصول الكافي بإسناده إلى المنخل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن علم العالم؟ فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فروح القدس يا جابر عرفوا، تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال يا جابر! إن هذه الأربعة الأرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب .

وإسناده إلى محمد بن سنان عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض، وهو في بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي خمسة أرواح روح الحياة فبه رب ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهه، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبي انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو ولا يلعب، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتزهو وروح القدس كان يرى به .

(٢) سورة فصلت، الآية : ٥ .

(٣) سورة فصلت، الآية : ٥ .

فهي - إذاً - غُلفٌ بطبيعة الحال عما تدعوننا إليه، فما هو ذنبنا وقد خُلِقنا غُلفُ القلوب، والجواب كلمة واحدة: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ - ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> - ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فليست هي غُلفاً بما خلق الله، بل ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾<sup>(٣)</sup>.

أم يعنون أنها غنية عن أية شرعة غير إسرائيلية، فهي مغلفة عن غيرها، غنية بها، مليئة منها، ومن ثم «إنها أوعية للخير والعلوم قد أحاطت بها واشتملت عليها، ثم هي مع ذلك لا تعرف لك يا محمد فضلاً مذكوراً في شيء من كتب الله ولا على لسان أحد من أنبياء الله»<sup>(٤)</sup>.

قد يعنون ذلك الثالث من غُلف القلوب، ورداً عليهم فيها كلمة واحدة: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ قلوب لعينة مقلوبة عن الخير بكفرهم، امتناعاً لقبول الحق بالاختيار!

ولأن الله لعنهم بكفرهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ قليلاً منهم، وقليلاً من الإيمان، والقلتان معنيتان، فإنهما من خلفيات لعنهم بكفرهم، فقليلاً منهم يتخلصون عن كفرهم، وقليلاً يؤمنون حين يتخلصون.

ويروى عن النبي ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغفل مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مُصْحَح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجُه فيه، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر،

(١) سورة الصف، الآية: ٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٢٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٤) تفسير الإمام الحسن العسكري قال عليه السلام في تفسير الآية . . . ومثله في الدر المنثور عن ابن عباس.



وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكّر، وأما القلب المُفْصِح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم فأَي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه<sup>(١)</sup>.

لقد قالوا قولتهم الهارفة الخارقة هذه تبيساً لمحمد ﷺ وتعليلاً لعدم إجابتهم له:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾:

هنا ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ لا تصدق كلّ ما معهم، فإنه دخيل من كلّ تحريف وتجديف، إذّا فهو الذي كانوا يستفتحون به على الذين كفروا من بشارات هذه الرسالة السامية القرآنية<sup>(٢)</sup>.

ثم وفي وجه آخر لما معهم، هو وحي التوراة خالصاً عما يشوبه، حيث القرآن يصدق كلّ كتابات الوحي، ويزيف كلّ دخيل فيها لأنه مُهَيِّمٌ عليها:

(١) الدر المثور ١: ٨٧ - أخرج أحمد بسند جيد عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: . . . وفيه - أخرج ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان والبيهقي في شعب الإيمان عن علي رضي الله عنه قال: إن الإيمان يبدو لحظة بيضاء في القلب فكلما ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض فإذا استكمل الإيمان أبيض القلب كلّهُ، وإن النفاق لحظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق عظماً ازداد ذلك السواد فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود». أقول: يعني منه قلب الروح و«لو» المحيلة لذلك الشق يؤيده ولا استحالة في شق قلب الجسم.

(٢) تفسير البرهان ١: ١٢٦ قال الإمام العسكري عليه السلام ذم الله اليهود فقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني هؤلاء اليهود الذين تقدم ذكرهم وإخوانهم من اليهود ﴿جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿مُصَدِّقٌ﴾ ذلك الكتاب ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة التي بيّن فيها أن محمداً الأُمِّي من ولد إسماعيل . . .

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...﴾ (١).

والاستفتاح هنا هو طلب الفتح على المشركين، كقولهم فيما يروى «اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا عليهم» (٢) أو وطلب الفتح منهم أن يخبروهم هل ولد من وصفته التوراة؟ ولكنه لا يصلح إلا ضمن المعني من الاستفتاح عليهم لأنه طلب الفتح منهم لا عليهم!

لقد كانوا يستفتحون ببشارة القرآن في توراتهم، على المشركين، كمصلحة وقتية ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من ذلك الفتح الرسالي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ مصلحة الحفاظ على الشريعة العنصرية ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا نَزَّلْنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ قُلْ إِنَّهُمْ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ﴾ (٣)

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٤٧، ٤٨.

(٢) الدر المشهور ١: ٨٨ - أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال: كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد ﷺ يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا ويقولون: اللهم... فلما جاءهم ما عرفوا - يريد محمداً ولم يشكوا فيه - كفروا به. ومن طريق أصحابنا في نور الثقلين أخرجه بأسانيد وأخصرها متناً ما رواه القمي عن إسحاق بن عمار قال سألت أبا عبد الله ﷺ في الآية قال: كان قوم فيما بين محمد وعيسى صلوات الله عليهما، وكانوا يتوعدون أهل الأصنام بالنبي ﷺ ويقولون: ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم وليفعلن بكم ليفعلن، فلما خرج رسول الله ﷺ كفروا به. وفيه عن روضة الكافي عنه ﷺ يقول فيه بعد تفصيل للقصة وكانت اليهود تقول لهم - المشركين القاطنين بالمدينة - أما لو قد بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلما بعث الله محمداً ﷺ آمنت به الأنصار - وهم وقتئذ من المشركين - وكفرت به اليهود وهو قول الله ﷻ: ﴿وَكَاؤُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وفي تفسير الإمام العسكري ﷺ... وكان الله ﷻ أمر اليهود في أيام موسى وبعده إذا دهمهم أمر أو دهمهم داهية أن يدعوا الله ﷻ بمحمد وآله الطيبين وأن يستنصروا بهم وكانوا يفعلون ذلك، حتى كانت اليهود من أهل المدينة قبل ظهور محمد ﷺ بسنين كثيرة يفعلون ذلك فيكفون البلاء والدماء والداهية...